منوعات

MEDIA

أخبار

أنشأت مجموعة من مهندسي الاتصالات الصينيين أول شبكة تجريبية ميدانية لاتصالات «الجيل السادس» والتكامل الذكي على مستوى العالم. وذكرت وكالة الأنباء الصينية أن «الشبكة أظهرت أنه يمكن الاستعانة بالبنية التحتية الحالية للجيل الرابع».

أعلنت شركتا آبل وغوغل عن تعاونهما لتقديم ميزة جديدة مشتركة تتيح للمستخدمين نقل البيانات والصور من «غوغل» مباشرة إلى iCloud Photos. وتعد هذه الميزة المشتركة جزءا من مشروع نقل البيانات بين منصات مختلفة عبر الإنترنت.

طرحت شركة سامسونغ الكورية جهاز «غالاكسي رينغ»، لتنضم إلى سوف الخواتم الذكية، التي تستخدم أجهزة استشعار صغيرة لمراقبة المقاييس الصحية المختلفة. ويعمل «غالاكسي رينغ» مع الهواتف العاملة بنظام «أندرويد 11» أو أعلى، وبسعر 400 دولار.

أطلقت «واشنطن بوست» منتجاً جديداً يلخص مقالة معينة باستخدام الذكاء الاصطناعي التوليدي. خدمة متاحة حالياً فقط لنحو 10% من تقارير الصحيفة، لكن الأخيرة تأمل توسيعها لتشمل جميع مقالاتها في الفترة المقبلة، وفق ما أعلنته.

منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، استشرست قوات الاحتلال الإسرائيلي على الصحافيين الفلسطينيين. شهادات من حرّر منهم تبقى عاجزة عن تصوير وحشية ما قاسوه

الصحافيون الأسرى: شهادات قاصرة أمام الوحشية

رام الله ـ **محمود السعدي**
مالك نبيل

يعاني الصحافيون الفلسطينيون خلال اعتقالهم، حالهم حال كل الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي، تجارب قاسية يكشفون عن فظاعتها بعد تحريرهم، علماً أن وحشية الاحتلال بحقهم تزداد حدتها منذ السابع من أكتوبر/ تشرين الأول الماضي، وتحديداً في غزة، حيث استشهد أكثر من 150 صحافياً وعاملاً في المجال الإعلامي، وفقاً للمكتب الإعلامي الحكومي في القطاع. في السابع من ديسمبر/ كانون الأول الماضي، اعتقل جيش الاحتلال الإسرائيلي مدير مكتب «العربي الجديد» في غزة، الزميل ضياء الكحلوت، مع عشرات الفلسطينيين من مدينة بيت لاهيا، شمالي القطاع. بعد الإفراج عنه، في التاسع من يناير/ كانون الثاني الماضي، تحدث الكحلوت عن التعذيب الذي تعرض له وما قاساه من معاملة غير آدمية طوال فترة اعتقاله. أما الزميل المتعاون مع «التلفزيون العربي»، محمد عرب، فلا يزال في الأسر منذ اعتقاله من مستشفى الشفاء في مارس/ آذار الماضي. وفي الضفة الغربية، تتصاعد وحشية الاحتلال الإسرائيلي بحق الصحافيين الفلسطينيين أيضاً. إذ اعتقلت قوات الاحتلال 9600 فلسطيني هناك منذ السابع من أكتوبر الماضي، بينهم 88 صحافياً. ووفقاً لمسؤولة الإعلام في نادي الأسير الفلسطيني، أماني السراحني، فإن 51 صحافياً لا يزالون في الأسر، بينهم ست صحافيات، و15 صحافياً من قطاع غزة.

معاذ عمارنة

أفرجت سلطات الاحتلال الإسرائيلي، الثلاثاء الماضي، عن الصحافي الفلسطيني معاذ عمارنة بعد اعتقال إداري من دون تهمة دام تسعة أشهر. وطلب عمارنة عدم معانقته، بمن في ذلك أهله الذين اشتاق إليهم، بعد طول اعتقال، وبدلاً من ذلك طلب نقله لإجراء فحوصات طبية لشكوك لديه بإصابته بمرض جلدي غامض جرّاء ظروف اعتقاله في السجون الإسرائيلية.

نقل عمارنة عقب الإفراج عنه عند حاجز الظاهرية جنوب الخليل جنوب الضفة الغربية، إذ كان معتقلاً في سجن النقب، إلى مسقط رأسه في مخيم الدهيشة جنوب بيت لحم جنوب الضفة الغربية، وبعدها إلى مستشفى بيت جالا الحكومي في بيت لحم. أكد الأطباء أنه يعاني من ارتفاع نسبة السكر في الدم، بالإضافة إلى التهاب في إصبع قدمه وعينه المصابة. وكان نادي الأسير الفلسطيني قد نبّه إلى أنه «في إطار الجرائم الطبيّة التي ينفذها الاحتلال بحق الأسرى والمعتقلين، فإنه رفض السماح بإدخال عينه الزجاجية ونظارته، بعد أن فقد إحدى عينيه عام 2019 برصاص جنود الاحتلال، خلال ممارسة عمله الصحافي، حيث استقرت الرصاصة على جدار الدماغ». وأوضح أن «عمارنة يعاني من مرض السكري المزمن، والذي تفاقم في ظل تنفيذ إدارة السجون سياسة التجويع بحق الأسرى، كما يعاني من نوبات ألم وصداع شديدة...». ووفق عمارنة، فإن سجن النقب يُعد حالياً من أسوأ السجون، حيث يعاني الأسرى من تضييقات شديدة في حياتهم اليومية، سواء في الخروج للاستحمام أو إلى ساحة السجن، بالإضافة إلى نقص الطعام، ما يعكس سياسة التجويع الممنهجة بحقهم. وخلال اعتقاله، فقد عمارنة مصدر دخله الوحيد، علما بأنه يعيل أسرته المكونة من ثلاثة أطفال إضافة إلى أمه وشقيقته، وهو الابن الوحيد من الرجال للعائلة.

ثائر فاخوري

تجربة قاسية عاشها الأسير المحرر الصحافي ثائر فاخوري من مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية، إذ قال لـ«العربي الجديد» إنه «غُيّب عن دوره في نقل صورة معاناة الشعب في مختلف الأراضي الفلسطينية، وانتقل من مرحلة توثيق

اعتقلت قوات الاحتلال 88 صحافياً فلسطينياً منذ 7 أكتوبر

جرائم الاحتلال، إلى مرحلة العيش تحت وطأة ظلم إدارة السجون الإسرائيلية». ولا حصانة للصحافي الفلسطيني في مراحل الاعتقال، أضاف فاخوري، مستشهداً بوجود عشرات الصحافيين داخل سجون الاحتلال على خلفية عملهم الصحافي، إذ «يحاول الاحتلال تحقيق عامل الردع؛ لثني الصحافيين عن عملهم واستمرار تهديدهم بالاعتقال حال العودة إلى طبيعة عملهم قبل الاعتقال، وهذا انعكس على فقدان العديد لوظائفهم التي كانوا يعملون فيها على خلفية الاعتقال أشهر طويلة». وتعرّض فاخوري خلال اعتقاله لـ«محاولة قتل»، وذلك في الثامن من نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، حين اقتحم عناصر قوات قمع السجون «المتسادا» الغرفة التي يقبع فيها، واختاروه من بين 12 أسيراً، ثم انهالوا عليه ضرباً فقد القدرة على النظر لمدة أسابيع، عدا عن إصابته بكسور ما زال يعاني منها في الأنف والأضلاع.

وانتقد فاخوري غياب نقابة الصحافيين الفلسطينيين عن متابعة قضايا الأسرى الصحافيين عبر المرافعة القانونية أو الزيارة من طواقم المحامين. وصرّح لـ«العربي الجديد»: «على مدار ثمانية أشهر لم يزرنا أحد من النقابة، علماً أنهم كانوا قادرين على ذلك، لأن معظم الأسرى الصحافيين اعتقلوا في سجن عوفر حيث يسمح للمحامين من الضفة الغربية بالزيارة». وأردف: «الزيارات التي كنا ننقل فيها أخبارنا وأحوال الأسرى في السجون تمت عبر زيارات من المحامين الذين وكّلتهم عائلاتنا». اعتقل فاخوري في 20 أكتوبر الماضي، وأفرج عنه في يونيو/ حزيران الماضي.

محمد الأطرش

اعتقال الاحتلال أكثر من 80 صحافياً منذ بدء العدوان على غزة يبين تعمّد إسرائيل استهداف الصحافيين إن لم يكن قتلهم في القطاع، بحسب حديث الأسير المحرر الصحافي محمد الأطرش لـ«العربي الجديد». وأضاف الأطرش أن هذا الاستهداف تيسره التشريعات الإسرائيلية التي تغلّظ العقوبات على العمل الصحافي بحجة «التحريض» الذي تربطه القوانين الإسرائيلية بأعمال وكتابات الصحافي، كما جرى معه عند اعتقاله بتهمة التحريض على خلفية أعمال صحافية. خاض الأطرش تجربة تحقيق قاسية في السجون الإسرائيلية، وروى قائلاً: «خضعت للتحقيق على خلفية العمل الصحافي، وقال لي أحد الضباط إن إسرائيل اليوم بلا قانون، وهذه المرحلة مهمة لاعتقال الصحافيين من دون رادع قانوني وفق الرغبة الإسرائيلية، وعندما كنت أرد عليهم بأني صحافي كنت أواجه باستهزاء وادعاءٍ أن لا صحافة ولا إعلام في فلسطين». الأطرش حاول إقناع ضبّاط الاحتلال بأن أعماله الصحافية لا تختلف عمّا يقدمه بعض الصحافيين الإسرائيليين، لكن ذلك أغضب الضبّاط المحققين الذين رفضوا اعتبار أن ما يحق للصحافي الإسرائيلي يحق للفلسطيني، إذ إن للصحافي الإسرائيلي الحق في التحريض أحياناً على القتل. وأشار إلى أن جنود الاحتلال كانوا يستهزئون ويشتمون وسائل الإعلام العربية والفلسطينية على الدوام، لأن مهنة الصحافة بنظرهم جريمة.

اعتقلت قوات الاحتلال الإسرائيلي محمد الأطرش في نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، رفقة الصحافي عامر أبو عرفة، من مدينة الخليل، بعد اقتحام منزليهما وتفتيشهما. وأفرج عن الأطرش في يونيو الماضي، بينما لا يزال أبو عرفة معتقلاً، والاعتقال الحالي هو الرابع للأخير، ليصبح إجمالي ما أمضاه في سجون الاحتلال قرابة ست سنوات.

لكن الإفراج عن الأطرش كان بقيود: ممنوع أي كتابة صحافية قد تزعم إسرائيل أنها تحرض عليها. هذا الإفراج المشروط خلق حالة من الرقابة الذاتية العالية على الأطرش، فهو خائف من التعبير عن مواقفه أو نشر أعماله الصحافية التي قد تؤدي لعودته إلى السجون التي تشبه في حالها ما كان في معتقل «غوانتنامو»، كما قال.

معاذ عمارنة يتلقى العلاج بعد الإفراج عنه، 9 يوليو 2024 (مصعب شاور/ فرانس برس)

الدول الأكثر سَجناً للصحافيين

في مطلع العام الحالي، كشفت لجنة حماية الصحافيين، في إحصائها السنوي للصحافيين المسجونين حول العالم، الخميس، عن بروز إسرائيل واحدةً من الدول الأكثر سَجناً للصحافيين خلال عام 2023، وخصوصاً في الفترة التي تلت انطلاق عدوانها على قطاع غزة في أكتوبر/ تشرين الأوّل الماضي. وكان هناك 17 صحافياً فلسطينياً معتقلاً في سجون الاحتلال حتّى لحظة نشر التقرير (بينما ارتفع الرقم حالياً إلى 51)، لتحتل دولة الاحتلال بذلك المركز السادس لأكثر الدول سَجناً للصحافيين مناصفة مع إيران، خلف الصين وميانمار وبيلاروس وروسيا وفيتنام على التوالي. وأشارت لجنة حماية الصحافيين إلى أنّ هذا العدد من الصحافيين الفلسطينيين المحتجزين هو الأكبر منذ أن بدأت عملها بتوثيق الاعتقالات عام 1992، كذلك فإنّها المرة الأولى التي تصل فيها دولة الاحتلال إلى المرتبة السادسة. ولا يشمل الإحصاء الصحافيين الذين أُفرج عنهم قبل الأول من ديسمبر/ كانون الأول الماضي، ولا أولئك الذين اعتُقلوا بعد هذا التاريخ. ورأت اللجنة في تقريرها أن حلول دولة الاحتلال في المركز السادس «دليل على أن المعيار الديمقراطي الأساسي، أي حرية الصحافة، آخذ في التلاشي مع استغلال إسرائيل أساليب وحشية لإسكات الصحافيين الفلسطينيين»، فيما دعت الرئيسة التنفيذية للجنة حماية الصحافيين جودي غينسبيرغ إلى «وقف هذه الممارسات». وأعلنت اللجنة في بيان إعلامي أن «جميع الصحافيين المعروف أنهم محتجزون في وقت إجراء الإحصاء في الأول من ديسمبر اعتُقلوا في الضفة الغربية المحتلة» بعد بدء العدوان على غزة، و«معظمهم يخضع للاحتجاز الإداري، الذي يتيح للسلطات الإسرائيلية احتجاز الأفراد دون توجيه اتهامات ضدهم لمجرد الاشتباه بأنّهم يخططون لارتكاب مخالفات في المستقبل».

لم يخبُ حضور المخرج والممثل الفلسطيني محمد بكري عن المشهد السينمائي العربي والعالمي. تراه عبر شاشة اللابتوب، رغم رداءة الإنترنت، كما يمكن أن تراه على خشبة المسرح وشاشة السينما؛ قوي اللهجة، ورخيم الصوت، وتبدو لاحة الكبرياء والأنفة على مظهره، ومعتدّاً بنفسه.
لا يزال أيضاً، كما كان في شبابه، مشتبكاً مع الاحتلال، لا يهدأ له بال إلّا حين يكشف ويوثّق جرائم الاحتلال الإسرائيلي على أرض فلسطين. هذا الاحتلال الذي سرق هناءة حياته ووداعتها، فبات يتحدّث وقد اختلط في لهجته الفرح مع الحزن. يتحدّث عن الحياة بنبرة الغاضب، وعن الموت بلهجة الصلب الجسور المتمسك بالحياة..
في قرية البعنة في الجليل، التي ترتفع عن سطح البحر نحو 300 متر، ولد محمد بكري عام 1953، ثم انتقل إلى مدينة عكا المحتلة لاستكمال دراسته الثانوية. درس التمثيل والأدب في جامعة تل أبيب في عام 1973.

لا تكمن أهميته في كونه خرق العزلة المفروضة على الإنسان الفلسطيني، وانطلق بعيداً بشهرته فحسب، وإنما بموهبته الاستثنائية وأفلامه التي يصرّ على أن تكون جزءاً من ذاكرة فلسطين، وأيضاً لكونه مبدعاً صاحبَ قضية... مبدعاً حوكم سنوات وسنوات على جريمة لم يرتكبها، وأن ارتكب جريمة فهي إشهار الكاميرا وتوثيق ما ارتكبه الاحتلال بحق أبناء شعبه.

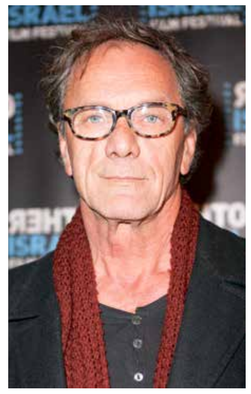

بعد 22 عاماً من مجزرة مخيم جنين التي ارتكبها الاحتلال في انتفاضة الشعب الفلسطيني الثانية، يعود محمد بكري إلى مخيم جنين، ليس بكونه مطمئناً على حال أهلها، بل موثقاً مرة أخرى لمجزرة جديدة. كان من حسن حظنا أن التقينا به وحاورناه عن فيلميه «جنين جنين» و«جنين 2023»... عن الحياة والموت في كنف الاحتلال، عن مفهومي المقاومة والفن، وعن السينما والمسرح وكواليسهما، وعلاقتهما بواقعه الشخصي والعام.

مقابلة
أجرتها **ميار مهنا**

محمد بكري و«جنين 2023»
يوم كالأمس

أعتبر فيلم «جنين 2023» أنشودة مهداة إلى المقاومة الفلسطينية

■ في فيلمك الذي صورته أخيراً، «جنين 2023»، كأنك تقول ما أشبه اليوم بالأمس. تعود إلى المخيم الذي صوّرت مجزرته المهولة عام 2002، وتصور الذبحة الجديدة التي يشهدها قطاع غزة كله هذه المرة. هل أصبح لدى الناس، خصوصاً الأطفال الذين شهدوا مجزرة جنين 2002، تعاطٍ مختلف مع الموت؟

أصبح الموت بالنسبة لأهل مخيم جنين وباقي مخيمات اللجوء في فلسطين أمراً عادياً بسبب قسوة الاحتلال ووحشيته ولا إنسانيته، ما جعل الحياة شبه مستحيلة. لقد سألت أحد المواطنين في مخيم جنين عام 2002 بعد أن استشهد ابنه: «ماذا يعني لك الاستشهاد؟»، فقابلني بابتسامة فيها كثير من الاستغراب من السؤال، وقال: «أسأل أي إنسان في المخيم هذا السؤال وستجد أن الجميع على استعداد تام للموت من أجل التحرير والكرامة».

أما بالنسبة للأطفال الذين عاشوا هذه الاقتحامات والاجتياحات والمجازر، فأعتقد بأنهم يعيشون صدمة مستمرة تجعلهم يعشقون المقاومة ويرون فيها سبيلاً للخلاص. وربما أيضاً عدم اكتراث بالحياة، لأن حياة ابن المخيم، كما يحصل الآن في غزة، لا قيمة لها، فيجدون في الموت ارتقاءً إلى مكان آخر لا وجود فيه للوحوش القتلة، وإنما فيه معنى للكرامة.

الدمار الذي خلفه الاحتلال في جنين 2002 لم يكن موجوداً في جنين 2023، لذلك ركّزت في الفيلم الأخير على الناس أكثر من المكان، بينما في الفيلم الأول كان التركيز الأكبر على المكان المدمّر والناس في وسط هذا الخراب. الناس في «جنين جنين» لم يكونوا محطمين ولا مكسورين، في حين كان الدمار يحيط بالمكان. وبعد عام من المجزرة، أعيد إعمار المخيم، حينها أصبح المخيم معمّراً والناس محطمين، وهذا ما تعمّدت تصويره في الفيلم الثاني الذي أعتبره أنشودة مهداة إلى المقاومة.

■ في «جنين 2023» لا نرى ظهوراً لأي جندي إسرائيلي، خلافاً لـ«جنين جنين». اليوم باتت المجازر تُرتكب من دون أن يعرف الضحايا والناجون وجوه القتلة، فالأسلحة المتطورة سمحت بقتل مئات الفلسطينيين دفعة واحدة من دون أن تحدق الضحية في وجه الجلاد. التطهير العرقي في الحرب الأخيرة بات أكثر وضوحاً. والعدوان يسري على كل الأنساق ويهدف إلى طمس وتدمير كل شيء. ما صعوبة توثيق الحرب الراهنة سينمائياً؟

لا في «جنين جنين» ولا في «جنين 2023» وجود لجنود الاحتلال، باستثناء مرورهم أمام الكاميرا، فأنا لم أصوّر أي جندي بكاميرتي، بل استعملت بعضاً من الفيديوهات التي وصلتني من مصادر مختلفة، سواء من نشرات أخبار أو «فيسبوك» أو غيرها. في الفيلم الأخير تعمّدت ألا أستخدم أي صورة لأي جندي؛ أولاً لأن الجنود لا يعنون لي شيئاً، وثانياً لأن ما يهمني هو روح الإنسان الفلسطيني المعذبة، ورغبتي بإيصال صوتها إلى العالم الأبكم والأعمى والأطرش.

■ هل تعتقد أن فيلماً وثائقياً عن المجازر لا يزال يحظى بمشاهدات في ظل الانتشار الهائل للمقاطع المصورة القادمة من غزة عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

هناك فارق كبير بين الريبورتاج الصحافي أو المقاطع المصورة المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي، وبين الفيلم الوثائقي الذي يمتاز بجوانبه الفنية، فالأخير يتقاطع مع الفيلم الروائي، كونه يصل إلى أعماق الناس، ويترك فيهم أثراً من دون أن يؤلم أرواحهم ويرهبهم، أو يعرضهم إلى صدمة نفسية. الفيلم الوثائقي أكثر استساغة للمتلقي من الريبورتاجات والمقاطع الوثيقية الخام التي تُستثمر في الإعلام، والإعلام وظيفته التهويل والتضخيم.

سأعطيك مثالاً آخر. في عام النكبة، سمع الناس جميعهم عن مذبحة دير ياسين، والمتداول أنها كانت مذبحة مروّعة، اغتُصبت فيها النساء، وبُقرت بطونهنّ. حين صوّرت فيلم «1948» في عام 1998 زرت دير ياسين، نظراً إلى هول ما سمعناه عن مجزرتها. قابلت هناك شخصين، رجلاً وامرأة، في الثمانين من عمرهما، كان الاثنان في مقتبل الشباب في عام النكبة، وعندما تحدثت إليهما وجدت أن لدى الاثنين روايتين مختلفتين عمّا حدث. تحدث الرجل بموضوعية نظراً إلى أنه كان من المقاتلين الذين دافعوا عن البلاد، أما المرأة فتباكت، وهذا يعود إلى كونها عانت من صدمة نفسية، ما جعل الفرق شاسعاً بين ما قاله هو وما قالته هي. أعتقد بأنها ضخّمت الحدث، وحين سألت الرجل عمّا روته لي علّق بأن «ما شهدته دير ياسين في عام النكبة كان معركة وليس مجزرة». وحين خسر اليهود المعركة، انتقموا من الفلسطينيين بضرب قنابل على البيوت وعلى الأطفال والنساء، أي إن ما حدث في دير ياسين بدأ معركة ثم تحول إلى مجزرة. المرأة روت الحادثة بعاطفتها، أما المقاتل فتحدث بلغة باردة. وقال إن القتلى كانوا 92 شخصاً، وعرض عليّ أسماءهم، ولذلك اعتمدت شهادته أكثر من شهادتها، وندمت على وضعها في الفيلم، لأنني أتوخى الصدق. لا أخفف من وطأة الحادثة، ولكن عليّ أن أكون دقيقاً جداً في نقل التفاصيل.

في دير ياسين كان هناك من يهوّل من المجزرة كي يرهب الناس من الاحتلال، كما بُثت إشاعات عن المجزرة لتصل إلى كل مناطق فلسطين، ما جعل البرجوازيين يغادرون فلسطين هاربين، والنتيجة أن الكاسب من هذه المعركة هو الاحتلال.

الأمر ينطبق على ما يحدث في غزة اليوم. بالتأكيد هناك مجازر مروعة ووحشية، ولكن طريقة نقل الصورة غير صحيحة، لأن القائمين على الأخبار، ولغاية في نفس يعقوب، يهوّلونها. أعتقد أن ما يحدث أكثر توحشاً مما نراه، فالوحشية تكمن في التفاصيل التي لا نراها في الريبورتاجات الصحافية. ما يهمني بصفتي سينمائياً هو التفاصيل، وهذه التفاصيل عصيّة على النسيان وتترك الأثر الأكبر لدى المتلقي.

بالنسبة إليّ، لا أحب إثارة الشفقة بالكائنات والعويل. أميل إلى الموضوعية وإيصال الرسالة كما هي، بأسلوب يحلو لي بصفتي فناناً. لا أريد أن أخرج عن الموضوع، ولكني أعتقد أن القصّ في الفيلم الوثائقي أكثر تعقيداً منه في الفيلم الدرامي حتى، لأن الأخير قائم على بنية درامية وحبكة وصراع، أما في الفيلم الوثائقي فصانع الفيلم يخلق القصة. أذكر أني دخلت إلى المخيم في فيلم «جنين جنين» وكانت الجثث لا تزال عالقة تحت الأنقاض، وبعضها يجري انتشاله، ولكنني تعمّدت ألا أوجه كاميرتي نحو الجثث والدماء. في المقابل، أظهرت روح المقاومة والعنفوان والقوّة والعناد والتماسك والأمل.

■ الطفلة نجوى في «جنين جنين» هي اليوم امرأة ثلاثينية لم لأربعة أطفال. تحدثت في الفيلم بعبارات بسيطة عن المقاومة عبر الإنجاب. وبفضل هذه الفكرة غزة هي المنطقة الأكثر كثافة سكانية في العالم. هناك تنويعات ومرادفات لمصطلح المقاومة. ما المقاومة من وجهة نظرك؟

المقاومة بالنسبة إليّ هي أن تدافع عن نفسك بأي وسيلة متاحة، من دون تردّد أو خوف. وبإيمان بأنك صاحب حق، ونحن أصحاب حقّ، المقاومة بالنسبة إليّ ليست عقائدية وإنما أيديولوجية. فأنا أحارب الاحتلال بكل أنواعه ولا أحارب اليهود، حربنا مع إسرائيل ليست دينية، بل حرب رواية وحرب من أجل استعادة المكان والأرض. هنالك قلة من الإسرائيليين لا يمكن لي أن أعاديها.

إيلان بابيه، على سبيل المثال، من اليهود الذين لا يمكن أن نحاربهم، إذ وضع كتابه «التطهير العرقي في فلسطين»، وقال لي في توقيع الكتاب في مسرح بافا، إنه استوحى فكرته من فيلمي «1948». وبالعودة إلى ما كنت أتحدث عنه قبل قليل، حول تأثير الفيلم الوثائقي، فأعتقد أن ميزته الأساسية هو أنه يبقى حياً عبر العصور، ويجب أن يعيش كما الموسيقى والمسرح والفن التشكيلي.

■ قدمت في كلا الفيلمين، «جنين جنين» و«جنين 2023» رواية الضحايا بلسانهم. المعاناة والمأساة التي صوّرتها أضفت مصداقية على رواية الضحايا. وعلى خلفية «جنين جنين» تعرّضت إلى المضايقات والاستدعاء للقضاء. عدا عن المبالغ الكبيرة التي اضطررت إلى دفعها. يمكننا في الحرب الراهنة أن نتأمل كيف تخشى إسرائيل من السردية الفلسطينية، وتسعى إلى تقييدها وتزييفها وطمسها. هل تعتقد أن في انتصار السردية انتصاراً للوجود الفلسطيني؟

سؤال مهم (يضحك). لا أعرف ماذا أقول لك فلدي الكثير لأقوله. منذ الكذبة الأولى التي اختلقها الاحتلال حين قال «أتينا شعباً بلا أرض، إلى أرض بلا شعب» بدأت حرب الروايات. والحقيقة أنهم أتوا إلى أرض فيها مجتمع مدني مزدهر جداً، وكذلك مجتمع فلاحي مزدهر جداً. مدينة يافا مثلاً كان فيها سبع دور سينما، ومسارح، وثلاث جرائد، وأربع مجلات، وكانت مركزاً ثقافياً واقتصادياً بفضل مينائها.

التناقض في الروايتين بدأ مع قدوم الاحتلال، لذلك أي شيء يتعارض مع الرواية الإسرائيلية مرفوض جملة وتفصيلاً.

هناك مثل شعبي يقول «الحرامي على راسه ريشة»، وهم على راسهم ريشة. منذ النكبة وهم مستمرون بأعمال القتل والتطهير العرقي. ما يحصل في غزة لم يبدأ في السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023، بل بدأ في 1948، وهم كالنعامة التي تطمر رأسها في الرمل. يقولون «حربنا ضد حماس» متناسين أن حركة حماس تأسست في عام 1987، أما المقاومة الروحية والنفسية فبدأت عام 1948، حين بقينا في أرضنا رغماً عنهم، ونحتنا حياتنا في الصخر. والدي كان رجلاً أمياً، لكنه كان دائماً ما يقول لي: «يدي قطّع من لحم كتافي واعلمك». حاله حال كثيرين من أهل البلاد. كان يعرف أني حين أتعلم لن أكون عبداً لدى الاحتلال. تعلمت وكنت من المتفوقين في الجامعة لأنني عربي وفلسطيني، ولو لم أكن متعلماً لـ«دعسوا عليّ». كان عليّ أن أكون «سوبر مان» لأصبح مجرّد «مان».

يقال البحر من أمامكم والعدو من خلفكم. وهذا صحيح، إما أن ننتصر في المعركة أو مصيرنا الغرق، لا خيار آخر.

لذلك، يكره الإسرائيليون فيلم «جنين جنين»، لأنني وضعت فيه إصبعي على الجرح، وهم عاجزون عن تكذيبه. لذلك أيضاً، حاولوا أن يتهموني بالكذب والنفاق، والصقوا بي تهماً كثيرة أخرى، كي يحطموا صورة محمد بكري، الرجل الجميل، أزرق العينين، والإنسان. مهما حاولوا لن يتمكنوا من إنسانيتي، بإمكانهم احتلال أرضي وبيتي ومالي، ولكن إنسانيتي فلن يتمكنوا من مسّها، وساظل أبتسم رغماً عنهم إلى أن أموت.

■ تفتتح فيلمك «من يوم ما رحت» برسالة إلى الروائي الراحل إميل حبيبي، تحدّثه عما شاهدته في مخيم جنين. ما أفظع ما شاهدته في جنين أو أشد ما أثر بك ولم يغب عن ذاكرتك؟

كل مشهد لم أعرضه في الفيلم. هل شاهدت حين قلت للراحل حبيبي في الفيلم: «إيه يا أبو سلام، منيح اللي أنت مش معاي، وأنا بحكيلك هيك لأنو بديش أقلق منامك»؟ كنت أقصد فظاعة ما رأيته في جنين.

■ «من يوم ما رحت» فيلم عنك، عن حياتك، تفتتحه برسالة إلى حبيبي وتختمه بمشهد لك وأنت تقف أمام قبره. ما الذي يمثله إميل حبيبي في حياتك؟

أعتبر إميل حبيبي مثل والدي. كتب حبيبي رواية «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبو النحس المتشائل». سعيد أبو النحس هو إميل حبيبي، وإميل حبيبي هو أبي، وأبي هو سعيد أبو النحس.

في عام النكبة، خرج أكثر من 90% من الفلسطينيين إلى منفاهم القسري بالقوة، تبقى منهم 155 ألف فلسطيني في أرض فلسطين. وهؤلاء كلهم هم سعيد أبو النحس، لأنهم بقوا في أرضهم، حملوا هويات زرقاء وبقوا وسموا إسرائيليين، وبقوا.

محمود درويش الذي أعتبره أعظم شاعر في العالم خَوّنه العرب، كانوا يعتبروننا إسرائيليين، حتى محمود درويش أيقونة الشعب الفلسطيني خُوّن. ما بالك بمن بقي في الداخل ولا يمتلك جمال روح وفكر محمود درويش؟ هؤلاء اضطروا إلى أن يمشوا «الحيط الحيط ويقولوا يا رب السترة». كان والدي يقول لي: «افعل ما شئت ولكن إياك والحزب الشيوعي الذي يمس بأمن الدولة، ويخرب البيوت». ربّاني أن أكون ولداً جيداً، ولكني فهمت في الصف الرابع الابتدائي أن طريق والدي غلط. قلت له: «بابا أنت غلطان» وضربني. كان والدي ضخماً وبنيته قوية. ابرحني ضرباً، مع ذلك قلت له: «الأستاذ الذي يعلمني في المدرسة كمان غلطان»؛ فردّ عليّ مستنكراً ومغتاظاً «شو بدك تغير العالم؟»، أجبت «آه، رح غير العالم». وقبل أن يموت قال لي «أنت الصح». كان عمري عند رحيله 48 عاماً.

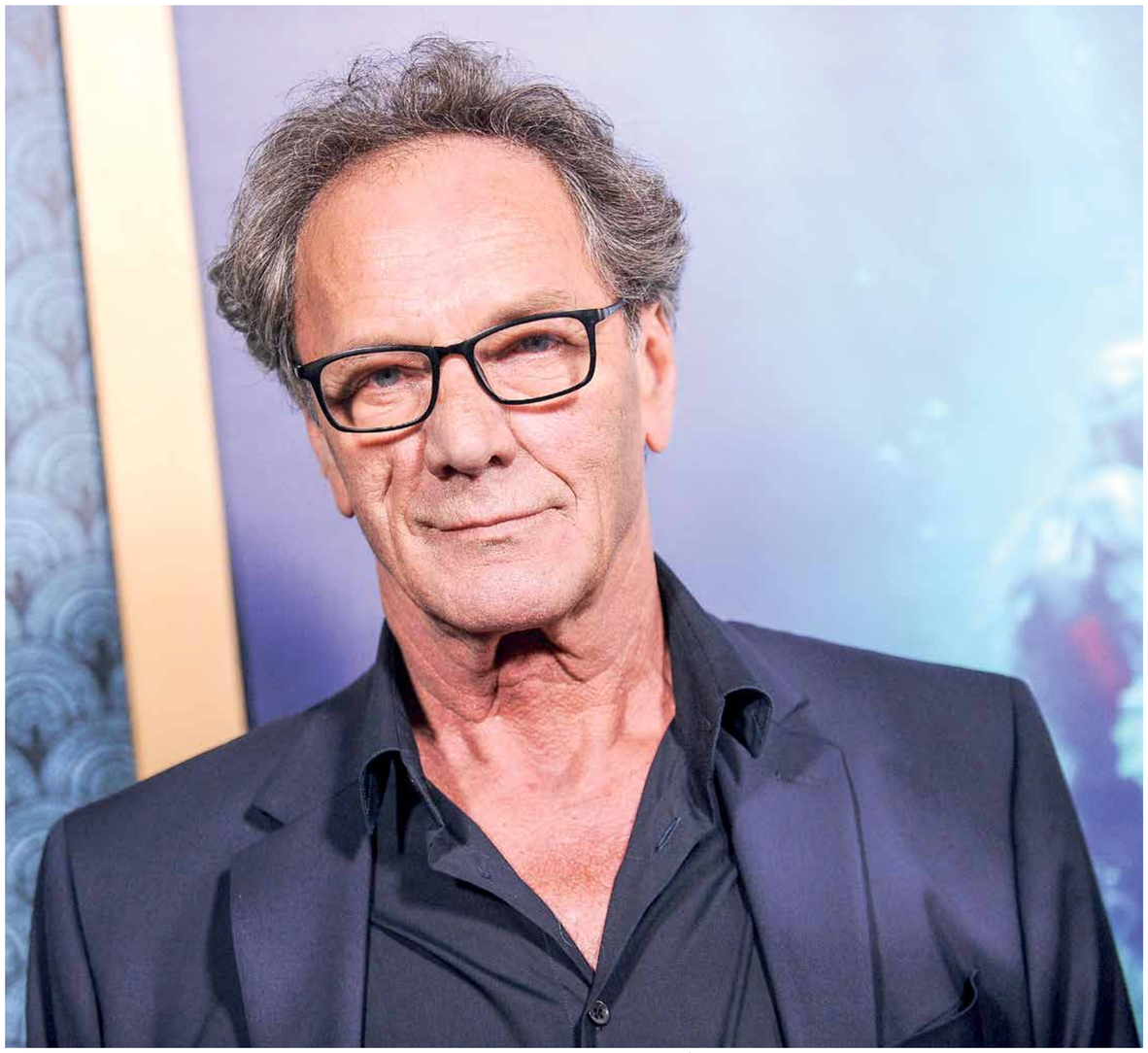

ركزت في «جنين 2023» على الناس أكثر من المكان (جيسون لافيرس / Getty)

من فيلم «جنين 2023» (من المخرج)

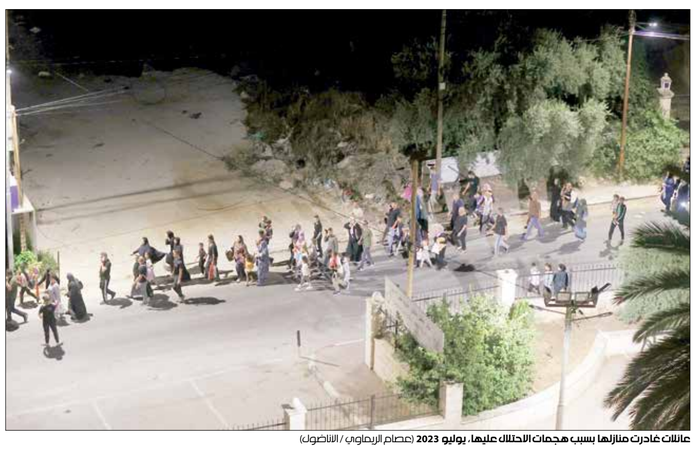

عائلات غادرت منازلها بسبب هجمات الاحتلال عليها، يوليو 2023 (عصام الريماوي / الأناضول)

في مخيم جنين، 21 أكتوبر 2023 (ماركوس يام / Getty)